كتاب

معارج الوصول

الى معرفة أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول

تأليف

شيخ الاسلام ناصر السنة قامع البدعة تقي الدين
أبي العباس أحمد بن تيمية الحنبلي
المتوفي سنة ٧٢٨ هجرية
قدس الله روحه

عني بتصحيحه

السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي

طبع على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة الشرفيه بمصر المحميه

سنة ١٣٢٣ هجريه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما قال الشيخ الامام العالم تقى الدين أوحد المجتهدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه وهو مما كتبه بقلعة دمشق

﴿ فصل ﴾ فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الدين أصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله فان هذا الاصل هو أصل أصول العلم والايمان وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الاصل كان أولى بالحق علما وعملا ومن كان أبعد عن الحق علما وعملا كالقرامطة والمتفلسفة يظنون أن الرسل ماكانوا يعلمون حقائق العلوم الالهية والكلية وانما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة ويقولون خاصة النبوة هى التخييل ويجعلون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور لا عند أهل المعرفة كما يقول هذا ونحوه الفارابي وأمثاله مثل بشر بن فاتك وأمثاله من الاسماعيلية *وآخرون يعترفون بأن الرسول علم الحقائق لكن يقولون لم يبينها بل خاطب الجمهور بالتخييل في خطابه لا في علمه كما يقول ذلك ابن سينا وأمثاله * وآخرون يعترفون بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون لا يمكن معرفته من كلامهم بل بطريق آخر اما المعقول عند طائفة واما المكاشفة عند طائفة اما قياس فلسفى واما خيال صوفي ثم بعد ذلك ينظر في كلام الرسول فما وافق ذلك قبل وماخالفه اما أن يفوّض واما أن يؤوّل وهذه طريقة كثيرة من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة وهي طريقة خيار الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل والكذب لكن يدخلون فى التأويل وأبو حامد الغزالى لما ذكر فى كتابه طرق الناس في التأويل وان الفلاسفة زادوا فيه حتى انحلوا وان الحق بين جمود الحنابلة وبين انحلال الفلاسفة وان ذلك لا يعرف من جهة السمع بل تعرف الحق بنور يقذف في قلبك ثم تنظر في السمع فما وافق ذلك قبلته والا فلا كان مقصوده بالفلاسفة المتأولين خيار الفلاسفة وهم الذين يعظمون الرسول عن أن

يكذب للمصلحة ولكن هؤلاء وقعوا في نظير مافروا منه نسبوه الى التلبيس والتعمية واضلال الخلق بل الي أن يظهر الباطل ويكتم الحق وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لايحتمل هذه التأويلات الفلسفية بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب سلك مسلك التخييل وقال انه خاطب الجمهور بما يخيل اليهم مع علمه ان الحق في نفس الامر ليس كذلك فهؤلاء يقولون ان الرسل كذبوا للمصلحة وهذا طريق ابن رشد الحفيد وأمثاله من الباطنية فالذين عظموا الرسل من هؤلاء عن الكذب نسبوهم الى التلبيس والاضلال والذين أقروا بأنهم بينوا قالوا انهم كذبوا للمصلحة وأما أهل العلم والايمان فمتفقون علي ان الرسل لم يقولوا الاالحق وانهم بينوه مع علمهم بانهم أعلم الخلق بالحق فهم الصادقون المصدوقون علموا الحق وبينوه فمن قال انهم كذبوا للمصلحة فهو من اخوان المكذبين للرسل لكن هذا لما رأى ماعملوا من الخير والعدل في العالم لم يمكنه أن يقول كذبوا لطلب العلو والفساد بل قال كذبوا لمصلحة الخلق كما يحكى عن ابن تومرت وأمثاله ولهذا كان هؤلاء لايفرقون بين النبي والساحر الا من جهة حسن القصد فان النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر والافالكل منهما خوارق هي عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب لكن الساحر يكذب للعلو والفساد والنبي عندهم يكذب للمصلحة اذ لم يمكنه اقامة العدل فيهم الا بنوع من الكذب والذين علموا ان النبوة تناقض الكذب على الله وان النبي لايكون الاصادقا من هؤلاء قالوا انهم لم يبينوا الحق ولو أنهم قالوا سكتوا عن بيانه لكان أقل الحادا لكن قالوا انهم أخبروا بما يظهر منه للناس الباطل ولم يبينوا لهم الحق فعندهم انهم جمعوا بين شيئين بين كتمان حق لم يبينوه وبين اظهار مايدل علي الباطل وان كانوا لم يقصدوا الباطل فجعلوا كلامهم من جنس المعاريض التي يعني بها المتكلم معنى صحيحا لكن لايفهم منها المستمع الاالباطل واذا قالوا قصدوا التعريض كان أقل الحادا ممن قال انهم قصدوا الكذب والتعريض نوع من الكذب اذ كان كذبا في الافهام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم لم يكذب قط الاثلاث كذبات كل ذلك في ذات الله تعالى وهي معاريض لقوله عن سارة انها أختي (١) اذ كان ليس هناك مؤمن الاهو وهي وهؤلاء يقولون ان كلام ابراهيم وعامة الانبياء مما أخبروا به عن الغيب كذب من المعاريض وأما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا بل يقولون قصدوا البيان دون

(١) ذكر احدي الثلاث والثانية قوله انى سقيم والثالثة قوله بل فعله كبيرهم هذا اه

التعريض لكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم ان بيان الحق ليس في خطابهم بل انما في خطابهم مايدل علي الباطل والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والاشعرية ونحوهم ممن سلك في اثبات الصانع طريق الاعراض يقولون ان الصحابة لم يبنوا أصول الدين بل ولا الرسول اما لشغلهم بالجهاد أو لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع وبين أن أصول الدين الحق الذى أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وهي الادلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك قد بينها الرسول أحسن بيان وأنه دلّ الناس وهداهم الي الادلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الالهية وبها يعلمون اثبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالادلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالادلة العقلية وان كان لايحتاج اليها فان كثيرا من الامور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول بين الادلة العقلية الدالة عليها فجمع بين الطريقين السمعي والعقلي وبينا ان دلالة الكتاب والسنة علي أصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم الى الآيات والبراهين والادلة المبينة لاصول الدين وهؤلاء الغالطون الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا اذ صنفوا في أصول الدين أحزابا حزب يقدمون فى كتبهم الكلام في النظر والدليل والعلم وأن النظر يوجب العلم وأنه واجب ويتكلمون فى جنس النظر وجنس الدليل وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل ثم اذ صاروا الى ما هو الاصل والدليل الذين استدلوا بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام وهو دليل مبتدع فى الشرع وباطل في العقل والحزب الثانى عرفوا ان هذا الكلام مبتدع وهو مستلزم مخالفة الكتاب والسنة وعنه ينشأ القول بان القرآن مخلوق وأن الله لايري في الآخرة وليس فوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمية فصنفوا كتبا قدموا فيها مايدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من القرآن والحديث وكلام السلف وذكروا أشياء صحيحة لكنهم قد يخلطون الآثار صحيحها بضعيفها وقد يستدلون بما لايدل علي المطلوب وأيضا فهم انما يستدلون بالقرآن من جهة أخباره لامن جهة دلالته فلا يذكرون مافيه من الادلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد وانه قد بين الادلة العقلية الدالة علي ذلك ولهذا سموا كتبهم أصول السنة والشريعة ونحو ذلك

وجعلوا الايمان بالرسول قد استقر فلا يحتاج أن تبين الادلة الدالة عليه فذمهم أولئك ونسبوهم الى الجهل اذ لم يذكروا الاصول الدالة علي صدق الرسول وهؤلاء ينسبون أولئك الي البدعة بل الى الكفر لكونهم أصلوا أصولا تخالف ما قاله الرسول والطائفتان يلحقهما الملام لكونهما أعرضتا عن الاصول التى بينها الله بكتابه فانها أصول الدين وأدلته وآياته فلما أعرض عنها الطائفتان وقع بينهما العداوة كما قال الله (فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وحزب ثالث قد عرف تفريط هؤلاء وتعدى أولئك وبدعتهم فذمهم وذم طالب العلم الذكى الذي اشتاقت نفسه الى معرفة الادلة والخروج عن التقليد اذا سلك طريقهم وقال ان طريقهم ضارة وان السلف لم يسلكوها ونحو ذلك مما يقتضي ذمها وهو كلام صحيح لكنه انما يدل على أمر مجمل لاتتبين دلالته علي المطلوب بل قد يعتقد طريق المتكلمين مع قوله انه بدعة ولا يفتح أبواب الادلة التى ذكر الله في القرآن التي تبين أن ماجاء به الرسول حق ويخرج الذكي بمعرفتها عن التقليد وعن الضلال والبدعة والجهل فهؤلاء أضل بفرقهم لانهم لم يتدبروا القرآن وأعرضوا عن آيات الله التي بينها بكتابه كما يعرض من يعرض عن آيات الله المخلوقة قال الله تعالي (وكم من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقال تعالى (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) وقال تعالى (ان الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) وقال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب) وقال تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) وقال تعالي (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر) وقال تعالي (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) ومثل هذا كثير لبسطه مواضع أخر والمقصود أن هؤلاء الغالطين الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية لايذكرون النظر والدليل والعلم الذي جاء به الرسول والقرآن مملوء من ذلك والمتكلمون يعترفون بان فى القرآن من الادلة العقلية الدالة علي أصول الدين مافيه لكنهم يسلكون طرقا أخر كطريق الاعراض ومنهم من يظن ان هذه طريق ابراهيم الخليل وهو غالط والمتفلسفة يقولون القرآن جاء بالطريق الخطابية

والمقدمات الاقناعية التي تقنع الجمهور ويقولون ان المتكلمين جاؤا بالطرق الجدلية ويدعون أنهم هم أهل البرهان اليقيني وهم أبعد عن البرهان في الالهيات من المتكلمين والمتكلمون أعلم منهم بالعلميات البرهانية في الالهيات والكليات ولكن للمتفلسفة خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الالهيات فانهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها وكلام ارسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ فهو لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينقل وهذا مبسوط في غير هذا الموضع والقرآن جاء بالبينات والهدى بالآيات وهي الدلائل اليقينيات وقد قال الله تعالى لرسوله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) والمتفلسفة يفسرون ذلك بطرقهم المنطقية في البرهان والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت في غير هذا الموضع بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به فالقلوب التي لها فهم وقصد تدعى بالحكمة فيبين لها الحق علما وعملا فتقبله وتعمل به وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل والوعظ أمر ونهي بترغيب وترهيب كما قال تعالى (ولو أنهم فعلوا مايوعظون به) وقال تعالى (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا) فالدعوة بهذين الطريقين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فانه يجادل بالتي هي أحسن والقرآن مشتمل على هذا وهذا ولهذا اذا جادل يسأل ويستفهم عن المقدمات البينة البرهانية التي لايمكن أحد أن يجحدها لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) وقوله (أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) وقوله (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يحيي الموتى) وقوله (أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) وقوله (أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) وقوله (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولي) وقوله (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) وقوله (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل) وقوله (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) الى أمثال ذلك مما يخاطبهم بلسان التقرير المتضمن اقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب فهو من أحسن الجدل

بالبرهان فان الجدل انما يشترط فيه أن يسلم الخصم المقدمات وان لم تكن بينة معروفة فاذا كانت بينة معروفة كانت برهانية والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس وهي برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها كقوله (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) فان الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب ومع من ينكرها من المشركين ذكر ذلك بقوله (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) وقد بين البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع وعلى قراءة من قرأ يبدونها كابن كثير وأبي عمرو جعلوا الخطاب مع المشركين وجعلوا قوله (وعلمتم مالم تعلموا) احتجاجا على المشركين بما جاء به محمد فالحجة على أولئك نبوة موسى وعلى هؤلاء نبوة محمد ولكل منها من البراهين ماقد بين بعضه في غير موضع وعلى قراءة الاكثرين بالتاء هو خطاب لاهل الكتاب وقوله (علمتم مالم تعلموا) بيان لما جاءت به الانبياء مما أنكروه فعلمهم الانبياء مالم يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما عرفوه من أخبار الانبياء ومالم يعرفوه وقد قص سبحانه قصة موسى وأظهر براهين موسى وآياته التي هي من أظهر البراهين والادلة حتى اعترف بها السحرة الذين جمعهم فرعون وناديك بذلك فلما أظهر الله حق موسى وأتى بالآيات التي علم بالاضطرار أنها من الله وابتلعت عصاه الحبال والعصي التى أتى بها السحرة بعد أن جاؤا بسحر عظيم وسحروا أعين الناس واسترهبوا الناس ثم لما ظهر الحق وانقلبوا صاغرين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون فقال لهم فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات من الدلائل البينات اليقينية وعلى الذي فطرنا وهو خالقنا وربنا الذي لابد لنا منه لن نؤثرك على هذه الدلائل اليقينية وعلى خالق البرية فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير

النوع الآخر كما يسمي الله ورسوله وكتابه باسماء متعددة كل اسم يدل علي معني لم يدل عليه الاسم الآخر وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي صلي الله عليه وسلم اذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفي ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة فى كل اسم دلالة على معنى ليس فى الاسم الآخر وان كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك القرآن اذا قيل فيه انه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعني الآخر وكذلك أسماء الرب تعالي اذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم يدل علي معني ليس هو المعنى الذى في الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا في الاسماء المفردة وكذلك في الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل علي معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخر وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة ففي كل جملة من الجمل معني ليس في الجمل الاخر وليس في القرآن تكرار أصلا * وأما ما ذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع الاكتفاء بالواحدة وكانت الحكمة فيه أن وفود العرب كانت ترد علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فيقرؤهم المسلمون شيأ من القرآن فيكون ذلك كافيا وكان يبعث الي القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الآيات والقصص مثناة مكررة لوقعت قصة موسي الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فاراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الارض وان يلقيها الى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج اقتصر علي هذا الجواب في قوله مثاني لما قيل لم ثنيت وبسط هذا له موضع آخر فان التثنية هي التنويع والتجنيس وهي استيفاء الاقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الاقسام والامثال والمقصود هنا التنبيه على أن القرآن اشتمل على أصول الدين التي تستحق هذا الاسم وعلي البراهين والآيات والادلة اليقينية بخلاف ما أحدثه المبتدعون والملحدون كما قال الرازى مع خبرته بطرق هؤلاء لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفي عليلا ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب والرحمن علي العرش استوى واقرأ في النفى ليس كمثله شئ ولا يحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتى والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصرة فى نوعين في العلم النافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدا بافضل ذلك وهو الهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله وكفى بالله شهيدا وقد قال الله

تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدي والابصار) فذكر النوعين قال الوالبى عن ابن عباس يقول أولو القوة في العبادة قال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير وعطاء الخراساني والحسن والضحاك والسدّى وقتادة وأبي سنان وبشر بن عبيد نحو ذلك والابصار قال الابصار الفقه فى الدين وقال مجاهد الابصار الصواب في الحكم وعن سعيد بن جبير قال البصيرة بدين الله وكتابه وعن عطاء الخراساني أولي الايدى والابصار قال أولو القوة في العبادة والبصر والعلم بامر الله وعن مجاهد وروي عن قتادة قال أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين وجميع حكماء الامم يفضلون هذين النوعين مثل حكماء اليونان والهند والعرب قال ابن قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل فالعمل الصالح هو عبادة الله وحده لاشريك له وهو الدين دين الاسلام والعلم والهدي هو تصديق الرسول فيما أخبر به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغير ذلك فالعلم النافع هو الايمان والعمل الصالح هو الاسلام العلم النافع من علم الله والعمل الصالح هو العمل بامر الله هذا تصديق الرسول فيما أخبر وهذا طاعته فيما أمر وضد الاول أن يقول على الله مالا يعلم وضد الثانى أن يشرك بالله مالم ينزل به سلطانا والاول أشرف فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وجميع الطوائف تفضل هذين النوعين لكن الذي جاء به الرسول هو أفضل مافيهما كما قال (ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم) وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ في ركعتي الفجر تارة سورة الاخلاص وقل ياأيها الكافرون ففى قل ياأيها الكافرون عبادة الله وحده وهو دين الاسلام وفي قل هو الله أحد صفة الرحمن وان يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الايمان هذا هو التوحيد القولى وذلك هو التوحيد العملي وكان تارة يقرأ بهما في الاولى بقوله في البقرة (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحدمنهم ونحن له مسلمون) وفي الثانية (قل ياأهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم) الى قوله (فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) قال أبو العالية فى قوله (لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال خلتان يسئل عنهما كل واحد ماذا كنت تعبد وماذا أجبت المرسلين فالاولى تحقيق شهادة أن لا اله الا الله والثانية تحقيق الشهادة بان محمدا رسول الله والصوفية بنوا أمرهم على الارادة ولا بد منها لكن بشرط

ان تكون ارادة عبادة الله وحده بما أمر والمتكلمون بنوا أمرهم على النظر المقتضي للعلم ولابد منه لكن بشرط أن يكون علما بما أخبر به الرسول والنظر في الادلة التي دل بها الرسول وهي آيات الله ولا بد من هذا وهذا ومن طلب علما بلا ارادة أو ارادة بلا علم فهو ضال ومن طلب هذا بدون اتباع الرسول فيهما فهو ضال بل كما قال من قال من السلف الدين والايمان قول وعمل واتباع السنة وأهل الفقه في الاعمال الظاهرة يتكلمون فى العبادات الظاهرة وأهل التصوف والزهد يتكلمون في قصد الانسان وارادته وأهل النظر والكلام وأهل العقائد من أهل الحديث وغيرهم يتكلمون في العلم والمعرفة والتصديق الذي هو أصل الارادة ويقولون العبادة لابد فيها من القصد والقصد لا يصح الا بعد العلم بالمقصود المعبود وهذا صحيح فلا بد من معرفة المعبود وما يعبد به فالضالون من المشركين والنصارى وأشباههم لهم عبادات وزهادات لكن لغير الله أو بغير أمر الله وانما القصد والارادة النافعة هو ارادة عبادة الله وحده وهو انما يعبد بما شرع لا بالبدع وعلى هذين الاصلين يدور دين الاسلام على أن يعبد الله وحده وان يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع وأما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها على أن يعرف ما أخبر به الرسول ويعرف ان ما أخبر به حق اما لعلمنا بانه لايقول الاحقا وهذا تصديق عام واما لعلمنا بان ذلك الخبر حق بما أظهر الله من آيات صدقه فانه أنزل الكتاب والميزان وأرى الناس آياته فى الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أن القرآن حق

﴿فصل﴾ وأما العمليات وما تسميه أناس الفروع والشرع والفقه فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فما شئ مما أمر الله به أو نهي عنه أو حلله أو حرمه الا بين ذلك وقد قال الله تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم) وقال تعالي (ما كان حديثا يفتري ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدي ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالي (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدي ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) وقال تعالى (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) فقد بين سبحانه انه ما أنزل عليه الكتاب الا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه كما بين انه أنزل

جنس الكتاب مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب) وقال تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فقد بين للمسلمين جميع ما يتقونه كما قال (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) وقال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) وهو الرد الى كتاب الله أو الى سنة الرسول بعد موته وقوله فان تنازعتم شرط والفعل نكرة في سياق الشرط فاى شيء تنازعوا فيه ردوه الى الله والرسول ولو لم يكن بيان الله والرسول فاصلا للنزاع لم يؤمروا بالرد اليه والرسول أنزل الله عليه الكتاب والحكمة كما ذكر ذلك في غير موضع وقد علم أمته الكتاب والحكمة كما قال تعالى (و يعلمهم الكتاب والحكمة) وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة وأمر أزواج نبيه بذكر ذلك فقال (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) فآيات الله هي القرآن اذ كان نفس القرآن يدل على أنه منزل من الله فهو علامة ودلالة على منزله والحكمة قال غير واحد من السلف هي السنة وقال أيضا طائفة كمالك وغيره هى معرفة الدين والعمل به وقيل غير ذلك وكل ذلك حق فهي تتضمن التمييز بين المأمور والمحظور والحق والباطل وتعليم الحق دون الباطل وهذه السنة التي فرق بها بين الحق والباطل وبينت الاعمال الحسنة من القبيحة والخير من الشر وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلام نحو هذا وهذا كثير في الحديث والآثار يذكرونه فى الكتب التى يذكر فيها هذه الآثار كما يذكر مثل ذلك غير واحد فيما يصنفونه فى السنة مثل ابن بطة واللالكائي والطلمنكي وقبلهم المصنفون في السنة كأصحاب أحمد مثل عبد الله والأثرم وحرب الكرماني وغيرهم ومثل الخلال وغيره والمقصود هنا تحقيق ذلك وان الكتاب والسنة وافيان بجميع أمور الدين وأما اجماع الامة فهو في نفسه حق لا تجتمع الامة على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق فان الله بعث رسله بالعدل وأنزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل وقد فسروا انزل ذلك بأن ألهم العباد معرفة ذلك والله ورسوله يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين وهذا هو القياس الصحيح وقد ضرب الله في القرآن من كل مثل وبين بالقياس الصحيح وهي الامثال المضروبة ما بينه من الحق لكن القياس الصحيح يطابق النص فان الميزان يطابق الكتاب والله أمر نبيه

ولكن أكثر الناس لايعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) ودين الانبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك فى غير موضع وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت فطاعة كل نبى هى من دين الاسلام اذ ذاك واستقبال بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدّل أومنسوخ وهكذا كل مبتدع دينا خالف به سنة الرسول لايتبع الا دينا مبدلا أومنسوخا فكل ماخالف ماجاء به الرسول اما أن يكون ذلك قد كان مشروعا لنبى ثم نسخ على لسان محمد واما أن لايكون شرع قط وهذا كالاديان التي شرعها الشياطين على ألسنة أوليائهم قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقال (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) وقال (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا ولو شاء الله مافعلوه فذرهم وما يفترون) ولهذا كان الصحابة اذا قال أحدهم برأيه شيأ يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال ذلك ابن مسعود وروي عن أبي بكر وعمر فالاقسام ثلاثة فانه اما أن يكون هذا القول موافقا لقول الرسول أولا يكون واما أن يكون موافقا لشرع غيره واما أن لايكون فهذا الثالث المبدل كاديان المشركين والمجوس وماكان شرعا لغيره وهو لايوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذي ظفر وشحم الثرب والكليتين فان اتخاذ السبت عيدا وتحريم هذه الطيبات قد كان شرعا لموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ماكان حراما في شرع موسى وأما محمد فقال الله فيه (الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط كما قال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من

دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وكذلك ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن كالسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا لما ذكر الله ذلك عنهم في سورة الانعام بين أن من حرم ذلك فقد كذب على الله وذكر تعالى ماحرمه على لسان محمد وعلى لسان موسى في الانعام فقال (قل لاأجد فيما أوحي الى محرّما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون) وكذلك قال بعدهذا (وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل) فبين ان ماحرمه المشركون لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد وهذان هما اللذان جاآ بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى (قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه) وقال تعالى (ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة) وقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) الى قوله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه) وقالت الجن لما سمعت القرآن (انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقالما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) وقال ورقة بن نوفل ان هذا والذى جاءبه موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشي فالقرآن والتوراة هما كتابان جاآ من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منهما كل منهما اصل مستقل والذي فيهما دين واحد وكل منهما يتضمن اثبات صفات الله تعالى والامر بعبادته وحده لاشريك له ففيه التوحيد قولا وعملا كما في سورتى قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة فان مافى الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهي بدينه وطاعته وعبادته مطلقا وأما المسيح فانه قال (ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) فاحل لهم بعض المحرمات وهو في الاكثر متبع لشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من أن يقرأ التوراة ويتبع مافيها اذ كان الانجيل تبعا لها وأما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر بل اشتمل على جميع مافي الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة لاتوجد في الكتب فلهذا كان

مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها يقرر مافيها من الحق و يبطل ماحرف منها و ينسخ مانسخه الله فيقر الدين الحق وهو جمهور مافيها ويبطل الدين المبدل الذى لم يكن فيها والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الي المحكم المقرر والانبياء كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم وكذلك التكذيب والمعصية لايجوز أن يكذب نبي نبياً بل ان عرفه صدقه والا فهو يصدق بكل ماأنزل الله مطلقاوهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي و من أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه فقدعصى كل نبي قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله و يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض و يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا) وقال تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزي في الحياة الدنيا و يوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) ومن كذب هؤلاء تكذيبا بجنس الرسالة فقد صرح بأنه يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) ولم يرسل اليهم قبل نوح أحد وقال تعالى (و قوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم) وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا في جنس الرسل كما قدمنا بأن يزعم انهم لم يعلموا الحق أولم يبينوه فهو مكذب لجميع الرسل كالذين قال فيهم (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذالاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون) وقال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) وقال تعالى عن الوليد (انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر) وأهل الكتاب منهم من يؤمن بجنس الرسالة لكن يكذب بعض الرسل كالمسيح ومحمد فهؤلاء لما آمنوا ببعض وكفروا ببعض كانوا كافرين حقا وكثير من لايكذب الرسل تكذيبا صريحا من الفلاسفة والباطنية وكثير من أهل الكلام والتصوف ولايؤمن بحقيقة النبوة والرسالة بل يقر بفضلهم

في الجملة مع كونه يقول ان غيرهم أعلم منهم أو انهم لم يبينوا الحق أو لبسوه أو أن النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الفعال من جنس مايراه النائم ولا يقر بملائكة منفصلين ولا بالجن ونحو ذلك فهؤلاء يقرون ببعض صفات الانبياء دون بعض وبما أوتوه دون بعض ولا يقرون بجميع ماأوتيه الانبياء وهؤلاء قد يكون أحدهم شرا من اليهود والنصاري الذين أقروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الانبياء فان الذى أقر به هؤلاء مما جاءت به الانبياء أعظم وأكثر اذ كان هؤلاء يقرون بأن الله خلق السموات والارض في ستة أيام و يقرون بقيام القيامة ويقرون بانه تجب عبادته وحده لاشريك له ويقرون بالشرائع المتفق عليها وأولئك يكذبون بها وانما يقرون ببعض شرع محمد ولهذا كان اليهود والنصارى أقل كفرا من الملاحدة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم لكن من كان من اليهود والنصاري قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نوعى الكفار اذ لم يؤمن بجميع صفاتهم ولا بجميع أعيانهم وهؤلاء موجودون في دول الكفر كثيرا كما يوجد أيضا في المنتسبين الى الاسلام من هؤلاء وهؤلاء اذا كانوا فى دولة المسلمين وأهل الكتاب كانوا منافقين فيهم من النفاق بحسب مافيهم من الكفر والنفاق يتبعض والكفر يتبعض ويزيد و ينقص كما أن الايمان يتبعض و يزيد وينقص قال الله تعالى (انما النسيء زيادة فى الكفر) وقال (واذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الي رجسهم وماتوا وهم كافرون) وقال (وننزل من القرآن ماهو شفاء و رحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) وقال (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) وقال (و يزيد الله الذين اهتدوا هدى)وقال (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال(ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) وكثير من المصنفين في الكلام لايردون على أهل الكتاب الا مايقولون انه يعلم بالعقل مثل تثليث النصاري و مثل تكذيب محمد ولا يناظرونهم في غير هذا من أصول الدين وهذا تقصير منهم ومخالفة لطريق القرآن فان الله يبين في القرآن ماخالفوا به الانبياء ويذمهم علي ذلك والقرآن مملوء من ذلك اذ كان الكفر والايمان يتعلق بالرسالة والنبوة فاذا تبين ماخالفوا فيه الانبياء ظهر كفرهم وأولئك المتكلمون لما أصلوا لهم دينا بما أحدثوه من الكلام كالاستدلال بالاعراض علي حدوث الاجسام ظنوا أن هذا هو أصول الدين ولوكان ماقالوه حقا

لكان ذلك جزأ من الدين فكيف اذا كان باطلا وقد ذكرت في الرد على النصاري من مخالفتهم للانبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر ولهذا قيل فيه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح وخطابهم فى مقامين أحدهما تبديلهم لدين المسيح والثانى تكذيبهم لمحمد صلي الله عليه وسلم واليهود خطابهم في تكذيب من بعد موسى الي المسيح ثم فى تكذيب محمد صلي الله عليه وسلم كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة في قوله (ولقد آتينا موسي الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون) ثم قال (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) الى ان ذكر أنهم أعرضوا عن كتاب الله مطلقا واتبعوا السحر فقال (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان) الي قوله (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) والنصاري نذمهم علي الغلو والشرك الذى ابتدعوه وعلى تكذيب الرسول والرهبانية التي ابتدعوها ولا نحمدهم عليها اذ كانوا قد ابتدعوها وكل بدعة ضلالة لكن اذا كان صاحبها قاصدا للحق فقد يعفي عنه فيبقى عمله ضائعا لافائدة فيه وهذا هو الضلال الذي يعذر صاحبه فلا يعاقب ولا يثاب ولهذا قال (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فان المغضوب عليه يعاقب بنفس الغضب والضال فاته المقصود وهو الرحمة والثواب ولكن قد لايعاقب كما عوقب ذلك بل يكون ملعونا مطرودا ولهذا جاء في حديث زيد بن عمرو بن نفيل ان اليهود قالوا ان تدخل في ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله وقال له النصاري حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله وقال الضحاك وقالت طائفة ان جهنم طبقات فالعليا لعصاة هذه الامة والتي تليها للنصاري والتي تليها لليهود فجعلوا اليهود تحت النصارى والقرآن قد شهد بان المشركين واليهود أشد عداوة للذين آمنوا من الذين قالوا انا نصارى وشدة العداوة زيادة فى الكفر فاليهود أقوي كفرا من النصارى وان كان النصاري أجهل وأضل لكن أولئك يعاقبون على عملهم اذ كانوا عرفوا الحق وتركوه عنادا

فكانوا مغضوبا عليهم وهؤلاء بالضلال حرموا أجر المهتدين ولعنوا وطردوا عما يستحقه المهتدون ثم اذا قامت عليهم الحجة فلم يؤمنوا استحقوا العقاب اذ كان اسم الضلال عاما وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة (خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) ولم يقل وكل ضلالة في النار بل يضل عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب وقد يفعل بعض ماأمر به فيكون له أجر على اجتهاده وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الامر مغفور له وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ماهو بدعة ولم يعلموا انه بدعة اما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة واما لآيات فهموا منها مالم يرد منها واما لرأى رأوه وفى المسألة نصوص لم تبلغهم واذا اتقى الرجل ربه مااستطاع دخل في قوله (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وفى الصحيح ان الله قال قد فعلت وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا أن الرسول بين جميع الدين بالكتاب والسنة وأن الاجماع اجماع الامة حق فانها لاتجتمع على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق يوافق الكتاب والسنة والآية المشهورة التي يحتج بها على الاجماع قوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولي) ومن الناس من يقول انها لاتدل على مورد النزاع فان الذم فيها لمن جمع بين الامرين وهذا لانزاع فيه أو لمن اتبع غير سبيل المؤمنين التى بها كانوا مؤمنين وهي متابعة الرسول وهذا لانزاع فيه أو ان سبيل المؤمنين هو الاستدلال بالكتاب والسنة وهذا لانزاع فيه فهذا ونحوه قول من يقول لاتدل على محل النزاع وآخرون يقولون بل يدل على وجوب اتباع المؤمنين مطلقا وتكلفوا لذلك ماتكلفوه كما قد عرف من كلامهم ولم يجيبوا عن أسئلة أولئك بأجوبة شافية والقول الثالث الوسط أنها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وتحريم اتباع غير سبيلهم ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد ماتبين له الهدي وهو يدل على ذم كل من هذا وهذا كما تقدم لكن لاينفي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول وحينئذ نقول الذم اماأن يكون لاحقا لمشاقة الرسول فقط أو باتباع غير سبيلهم فقط أو ان يكون الذم لايلحق بواحد منهما بل بهما اذا اجتمعا أو يلحق الذم بكل منهما وان انفرد عن الآخر أو بكل منهما لكونه مستلزما للآخر والاولان باطلان لانه لو كان المؤثر أحدهما فقط كان ذكر الآخر ضائعا لافائدة فيه وكون الذم لايلحق

بواحد منهما باطل قطعا فانّ مشاقة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عن من اتبعه ولحوق الذم بكل منهما وان انفرد عن الآخر لاتدل عليه الآية فان الوعيد فيها انما هو على المجموع بقي القسم الآخر وهو ان كلا من الوصفين يقتضي الوعيد لانه مستلزم للآخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول ومخالفة القرآن والاسلام فيقال من خالف القرآن أو من خرج عن القرآن والاسلام فهو من أهل النار ومثله قوله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) فان الكفر بكل من هذه الاصول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله كفر بالجميع ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله اذ كذب رسله وكتبه وكذلك اذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا وكذلك قوله (ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) ذمهم على الوصفين وكل منهما مقتض للذم وهما متلازمان ولهذا نهي عنهما جميعا في قوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)فان من لبس الحق بالباطل فغطاه به فغلط به لزم أن يكتم الحق الذى يبين أنه باطل اذلو بينه زال الباطل الذي لبس به الحق فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين من شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر ومن اتبع غير سبيلهم فقدشاقه أيضا فانه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على أنه وصف مؤثر في الذم فمن خرج عن اجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا والآية توجب ذم ذلك *واذا قيل هى انما ذمته مع مشاقة الرسول *قلنا انهما متلازمان وذلك لان كل ماأجمع عليه المسلمون فانه يكون منصوصا عن الرسول فالمخالف لهم مخالف للرسول كما أن المخالف للرسول مخالف لله ولكن هذا يقتضي أن كل ماأجمع عليه قد بينه الرسول وهذا هو الصواب فلا يوجد قط مسألة مجمع عليها الا وفيها بيان من الرسول ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الاجماع فيستدل به كما انه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص وهودليل ثان مع النص كالامثال المضروبة في القرآن وكذلك الاجماع دليل آخر كما يقال قد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع وكل من هذه الاصول يدل على الحق مع تلازمها فان مادل عليه الاجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة وما دل عليه القرآن فعن الرسول أخذ فالكتاب والسنة كلاهما مأخوذ عنه ولا يوجد مسألة يتفق الاجماع عليها الاوفيها نص وقد كان بعض الناس يذكر مسائل فيها اجماع بلانص

كالمضاربة و ليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم في الجاهلية لاسيما قريش فان الاغلب كان عليهم التجارة وكان أصحاب الاموال يدفعونها الي العمال ورسول الله صلي الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة كما سافر بمال خديجة والعير التى كان فيها أبو سفيان كان أكثرها مضاربة مع أبي سفيان وغيره فلما جاء الاسلام أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يسافرون بمال غيرهم مضاربة ولم ينه عن ذلك والسنة قوله وفعله واقراره فلما أقرها كانت ثابتة بالسنة والأثر المشهور فيها عن عمر الذي رواه مالك في الموطأ و يعتمد عليه الفقهاء لما أرسل أبا موسى بمال أقرضه لابنيه واتجرا فيها و ربحا وطلب عمر أن يأخذ الربح كله للمسلمين لكونه خصهما بذلك دون سائر الجيش فقال له أحدهما لو خسر المال كان علينا فكيف يكون لك الربح وعلينا الضمان فقال له بعض الصحابة اجعله مضاربة فجعله مضاربة و انما قال ذلك لان المضاربة كانت معروفة بينهم والعهد بالرسول قريب لم يحدث بعده فعلم انها كانت معروفة بينهم علي عهد الرسول كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالخياطة والحرازة وعلي هذا فالمسائل المجمع عليها قد تكون طائفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها نصا فقالوا فيها باجتهاد الرأي الموافق للنص لكن كان النص عند غيرهم وابن جرير وطائفة يقولون لا ينعقد الاجماع الا عن نص نقلوه عن الرسول مع قولهم بصحة القياس ونحن لا نشترط أن يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعنى كما تنقل الاخبار لكن استقرينا موارد الاجماع فوجدناكلها منصوصة وكثير من العلماء لم يعلم النص وقد وافق الجماعة كما أنه قد يحتج بقياس وفيها اجماع لم يعلمه فيوافق الاجماع وكما يكون في المسألة نص خاص وقد استدل فيها بعضهم بعموم كاستدلال ابن مسعود وغيره بقوله (وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن) وقال ابن مسعود سورة النساء القصري نزلت بعد الطولى أي بعد البقرة وقوله (أجلهن أن يضعن حملهن) يقتضى انحصار الاجل في ذلك فلو أوجب عليها أن تعتد بأبعد الاجلين لم يكن أجلها أن تضع حملها وعلي وابن عباس وغيرهما أدخلوها في عموم الآيتين و جاء النص الخاص في قصة سبيعة الاسلمية بما يوافق قول ابن مسعود وكذلك لما تنازعوا في المفوضة اذا مات زوجها هل لها مهر المثل أفتى ابن مسعود فيها برأيه ان لها مهر المثل ثم رووا حديث بروع بنت واشق بما يوافق ذلك وقد خالفه علي وزيد وغيرهما فقالوا لا مهر لها فثبت أن بعض المجتهدين قد يفتي بعموم

أو قياس ويكون في الحادثة نص خاص لم يعلمه فيوافقه ولا تعلم مسألة واحدة اتفقوا على أنه لانص فيها بل عامة ماتنازعوا فيـه كان بعضهم يحتج فيه بالنصوص أولئـك احتجوا بنص كانتوفي عنها الحامل وهؤلاء احتجوا بشمول الآيتين لها والآخرون قالوا انما تدخل فى آية الحمل فقط وان آية الشهور في غير الحامل كما أن آية القروء في غـير الحامل وكذلك لما تنازعوا في الحرام احتج من جعـله يمينا بقوله (لم تحرم ماأحـل الله لك تبتغي مرضاة أز واجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحـلة أيمانكم) وكذلك لما تنازعوا فى المبتوتة هل لها نفقة أو مسكن احتج هؤلاء بحديث فاطمة وبان السكنى التي فى القرآن للرجعية وأولئـك قالوا بل هي لهـما ودلالات النصوص قد تكون خفيـة يخص الله بفهمهن بعض الناس كما قال عليّ الا فهـما يؤتيه الله عبدا فى كتابه وقد يكون النص بينا ويذهل المجتهـد عنه كتيمم الجنب فانه بين في القرآن في آيتين ولمـا احتج أبو موسى على ابن مسعود بذلك قال الحاضر مادري عبد الله مايقول الا أنه قال لو أرخصنا لهم في ذلك لاوشك أحدهم اذاوجد البرد أن يتيمم وقد قال ابن عباس وفاطمة بنت قيس وجابر ان المطلقة فى القرآن هى الرجعية بدليل قوله (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) وأي أمر يحدثه بعد الثلاثة وقد احتج طائفة على وجوب العمرة بقوله (وأتموا الحج والعمرة لله) واحتج بهـذه الآية من منع الفسخ وآخرون يقولون انما أمر بالاتمـام فقط وكذلك أمر الشارع أن يتم وكذلك في الفسخ قالوا من فسخ العمرة الى غير حج فلم يتمها أما اذا فسخها ليحج من عامه فهذا قد أتي بما تم ممـا شرع فيه فانه شرع في حج مجرد فأتى بعمرة في الحج ولو لم يكن هذا اتمـاما لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عام حجة الوداع وتنازعوا في الذي بيده عقدة النكاح وفي قوله (أو لامسـتم النساء) ونحو ذلك مما ليس هذا موضع استقصائه وأما مسئلة مجردة اتفقوا على أنه لايستدل فيها بنص جلي ولا خفي فهذا مالا أعرفه والجد لما قال أكثرهم انه أب اسـتدلوا على ذلك بالقرآن بقوله (كما أخرج أبويكم من الجنـة) وقال ابن عبـاس لو كانت الجن تظن ان الانس تسمي أبا الاب جدا لما قالت وانه تعالى جد ربنا تقول انما هو أب لكن أب أبعد من أب وقد روى عن على وزيد أنهـما احتجا بقياس فمن ادعي اجماعهم على ترك العمل بالرأى والقياس مطلقا فقد غلط ومن ادعي ان من المسائل مالم يتكلم فيها أحد منهم الا بالرأى والقياس فقد غلط بل كان كل منهم يتكلم بحسب

ماعنده من العلم فمن رأى دلالة الكتاب ذكرها ومن رأي دلالة الميزان ذكرها والدلائل الصحيحة لاتتناقض لكن قد يخفى وجه اتفاقها أو ضعف أحدها علي بعض العلماء وللصحابة فهم فى القرآن يخفى علي أكثر المتأخرين كما أن لهم معرفة بامور من السنة وأحوال الرسول لايعرفها أكثر المتأخرين فانهم شهدوا الرسول والتنزيل وعاينوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله مما يستدلون به على مرادهم مالم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من اجماع أو قياس ومن قال من المتأخرين ان الاجماع مستند معظم الشريعة فقد أخبر عن حاله فانه انقص معرفته بالكتاب والسنة احتاج الي ذلك وهذا كقولهم ان أكثر الحوادث يحتاج فيها الى القياس لعدم دلالة النصوص عليها فانما هذا قول من لامعرفة له بالكتاب والسنة ودلالتهما على الاحكام وقد قال الامام أحمد رضي الله عنه انه مامن مسئلة الا وقد تكلم فيها الصحابة أو في نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت جميع أجناس الاعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة وانما تكلم بعضهم بالرأي فى مسائل قليلة والاجماع لم يكن يحتج به عامتهم ولا يحتاجون اليه اذهم أهل الاجماع فلا اجماع قبلهم لكن لما جاء التابعون كتب عمر الى شريح اقض بما في كتاب الله فان لم تجد فبما في سنة رسول الله فان لم تجد فبما به قضي الصالحون قبلك وفى رواية فبما أجمع عليه الناس وعمر قدم الكتاب ثم السنة وكذلك ابن مسعود قال مثل ماقال عمر قدم الكتاب ثم السنة ثم الاجماع وكذلك ابن عباس كان يفتي بما في الكتاب ثم بما في السنة ثم بسنة أبي بكر وعمر لقوله (اقتدوا باللذين من بعدى أبي بكر وعمر) وهذه الآثار ثابتة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وهم من أشهر الصحابة بالفتيا والقضاء وهذا هو القضاء وهذا هو الصواب ولكن طائفة من المتأخرين قالوا يبدأ المجتهد بان ينظر أولا فى الاجماع فان وجده لم يلتفت الى غيره وان وجد نصا خالفه اعتقد انه منسوخ بنص لم يبلغه وقال بعضهم الاجماع نسخه والصواب طريقة السلف وذلك لان الاجماع اذا خالفه نص فلابد أن يكون مع الاجماع نص معروف به أن ذلك منسوخ فاما أن يكون النص المحكم قد ضيعته الامة وحفظت النص المنسوخ فهذا لايوجد قط وهو نسبة الامة الى حفظ مانهيت عن اتباعه واضاعة ماأمرت باتباعه وهى معصومة عن ذلك ومعرفة الاجماع قد تتعذر كثيرا أوغالبا فمن ذا الذى يحيط باقوال المجتهدين بخلاف النصوص فان

معرفتها ممكنة متيسرة وهم انما كانوا يقضون بالكتاب أولا لان السنة لاتنسخ الكتاب فلا يكون في القرآن شئ منسوخ بالسنة بل ان كان فيه منسوخ كان فى القرآن ناسخه فلا يقدم غير القرآن عليه ثم اذا لم يجد ذلك طلبه في السنة ولا يكون في السنة شئ منسوخ الا والسنة نسخته لاينسخ السنة اجماع ولا غيره ولا تعارض السنة باجماع وأكثر ألفاظ الآثار فان لم يجد فالطالب قد لايجد مطلوبه فى السنة مع أنه فيها وكذلك في القرآن فيجوز له اذا لم يجده في القرآن أن يطلبه في السنة واذا كان في السنة لم يكن مافى السنة معارضا لما في القرآن وكذلك الاجماع الصحيح لايعارض كتابا ولاسنة * تم بحمد الله وعونه وصلواته على خير بريته محمد وآله *

﴿ تمت رسالة معارج الوصول * ويليها رسالة المظالم المشتركه ﴾